عمارة الأرض في القرآن الكريم بين منهجين

إيناس جلال محمود القصاص

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

عمارة الأرض في القرآن الكريم بين منهجين

إيناس جلال محمود القصاص

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

البريد الإلكتروني: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

الملخص:

في سياق التفاعل مع ما شاع من نقاش علمي حول الحفاظ على البيئة بما فيها من موارد طبيعية وموارد متجددة، وما نتج عن الثورة الصناعية والتقنية من تلوث في التربة والمياه والهواء، والشعور بأن زيادة السكان ليس قيمةً مضافة، بل عبئًا على أولياء الأمور؛ وما صاحب ذلك من حديث عن العمران، من حيث الحفاظ على ما تم إنجازه وتطويره؛ اتجهت الدراسة لموضوع عمارة الأرض في القرآن الكريم لتبين من خلاله أن ثمة منهجين في التعاطي مع البيئة والعمران من حيث العموم: منهجٌ يحاول التوافق مع السائد عالميًا وينتقي من الكتاب والسنة ما يوافق القيم العالمية الحديثة. وتحاول الدراسة كشف هذا المنهج (المسلك) ومناقشته، ومن ثم بيان فساده؛ ومسلك آخر في المقابل به تعمر الأرض ويُحافَظ على البيئة، وهو مسلك النبي، ﷺ، وصحابته، رضوان الله عليهم، والتابعين لهم بإحسان، تحاول الدراسة بيان هذا المسلك من خلال نصوص الكتاب والسنة ومن خلال تطبيقات عملية قام بها الصحابة والتابعون.

الكلمات المفتاحية: العمران – البيئة – الموارد الطبيعية – موافقة السائد– الفساد – التقوى – الإيمان – الكفر – العصيان.

The architecture of the earth in the Holy Qur'an between two approaches

Enas Jalal Mahmoud Al-Qassas
Department of Interpretation and Quran Sciences - College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Cairo
Email: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

Abstract:
In the context of interacting with the widespread scientific discussion about preserving the environment, including its natural and renewable resources, and the pollution resulting from the industrial and technological revolution in soil, water and air, and feeling that the increase in population is not an added value, but rather a burden on parents; And the accompanying talk about urbanization, in terms of preserving and developing what has been achieved; The study turned to the issue of land architecture in the Holy Qur'an to show that there are two approaches to dealing with the environment and urbanization in general: an approach that tries to conform to the prevailing world around the world and selects from the Qur'an and Sunnah what conforms to modern global values. The study attempts to reveal and discuss this approach (the path), and then show its corruption. And another course, in return, by which the earth is prospered and the environment is preserved, which is the behavior of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and his companions, may God be pleased with them, and those who followed them in goodness.

key words: Urbanism – environment - natural resources- approval of the dominant – corruption – piety – faith – infidelity - disobedience.

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:-

يمكننا تقسيم الآيات الكريمات التي تحدثت عن عمارة الأرض في القرآن الكريم، إلى نوعين: أولهما: آيات تحض على عمارة الأرض وتنهى عن الفساد فيها وتجرّم وتؤثّم من يسعى فى الأرض فسادًا، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وهذه الآيات الكريمات، وأمثالها، أقرب ما تكون إلى النصوص القانونية التى تُستدعى حال التمكين فى الأرض ليعمل بها أولياء الأمور فى سياسة الناس.

وثانيهما: آيات تربط بوضوح بين تحقيق الإيمان والتقوى وعمارة الأرض، مثل قول اللهِ تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [4]. وقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ

١ سورة هود: من الآية ٦١.
٢ سورة الأعراف: الآية ٥٦.
٣ سورة المائدة: الآية ٣٣.
٤ سورة الأعراف: الآية٩٦.

أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ [١] ، وقول الله تعالى: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا . يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا . وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾ [٣]. وآيات فيها ربط صريح بين المعصية والفساد (تخريب العمران)، مثل قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [٤] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [٥].

وفى التعامل مع النصوص الشرعية المتعلقة بعمارة الأرض نجد أننا أمام منهجين، منهج يتخذ النوع الأول من الآيات، تلك التى تحض على العمارة وتنهى عن الفساد فيها، في التوافق مع الفكر الاستشراقي؛ وذلك أنه في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين الميلادي، بعد أن أصبح العالم قرية واحدة يمكن لكلّه أن يتواصل مع كلّه، وبعد أن ظهر الإرهاب الذي يهدد أمن الجميع، تصاعدت موجةٌ ثقافية عالمية قادمة من الغرب، تطالب بالاتفاق على قواسم أخلاقية مشتركة يلتقي عليها الجميع حفاظًا على أرواح الناس ونشرًا للمودة والسلام؛ وكذلك شاع التنادي للحفاظ على البيئة وما توصل إليه الإنسان المعاصر من عمارة في الأرض. وفي المقابل يسارع بعضنا في استحضار آياتٍ كريمات وأحاديث شريفة تتوافق مع كل تنادي غربي يستظل بـ "عمارة الأرض".

---

١ سورة المائدة: الآية ٦٦

٢ سورة نوح: الآيات ١٠ –١٣.

٣ سورة الجن: الآية١٦.

٤ سورة الروم: آية٤١.

٥ سورة الشورى: آية ٣٠.

وإن التوافق مع الموجات الثقافية الاستشراقية القادمة من الغرب أو الشرق، يؤدي إلى توطينها من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الموجات الثقافية لا تنتهي، فلا تكاد تمر سنوات قليلة حتى يظهر تنادي ثقافي جديد يطالب بمزيدٍ من التوافق، وينهض بعضنا لقراءة النص الشرعي لتوافق مع السائد، وتكون النتيجة البدهية هى أننا نقع فى مزيدٍ من التبعية الثقافية.

وإن استدعاء الحقائق القرآنية المذكورة في النوع الثاني من الآيات.. تلك التي تبين أن حضور المعصية يعني، ولابد، خراب العمران، وأن عمارة الأرض لا تكون إلا بطاعة الله والمصلحين من عباده، في مواجهة المنهج الأول الشائع في الثقافة المحلية والعالمية من شأنه أن يثير سؤالًا هذا نصه: **كيف تعمرُ الأرضُ بمن غايته عبادة الله وتعبيد الناس لله؟! وفي المقابل كيف تفسد الأرض بمن يجد ويجتهد ويطور أساليب العمارة، بل حقق عمرانًا ظاهريًا يراه الجميع؟!**

وستحاول الباحثة الإجابة على هذا السؤال بشقيه من خلال هذه الدراسة، والله ولي التوفيق.

أهداف الدراسة

تستهدف الدراسة بيان عدد من الأمور، من أهمها:

١. الكشف عن سياقين متقابلين: أحدهما: سياق مترحل يوافق السائد على الساحة الثقافية الدولية، بمعنى أنه يقوم بتطويع النص ليوافق الرائج ثقافيًا، والآخر: سياق فى المقابل يبين الطريقة المثلى لإيجاد عمارة حقيقية للأرض كما بينها القرآن الكريم.
٢. بيان كيف تعمر الأرض بمن غايته عبادة الله وتعبيد الناس لله، وذلك من خلال عرض التطبيقات العملية التي ظهرت على يد الصحابةﷺ، أولئك الذين أنشأوا حضارة الإسلام الخالدة.
٣. بيان أن الكفر والعصيان يستلزمان خراب العمران، وذلك من خلال مستويين: المستوى النظري (النص: آيات الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة

الشارحة لها)، والمستوى التطبيقي، وذلك من خلال ذكر نماذج عملية في واقعنا الذي نعيشه.

٤. ومن أهم أهداف الدراسة بيان أن عمارة الأرض ثمرة لطاعة الله، وليست غاية، فقد أمرنا بعبادة الله وتعبيد الناس لله، وإن فعلنا عمرت الأرض، والعكس صحيح، بمعنى أن حضور الكفر والعصيان يؤدي إلى خراب العمران.

منهجية البحث:

تعتمد الباحثة على منهج الاستقراء والعرض والمناقشة. حيث تعمد الباحثة إلى استقراء آراء الذين تحدثوا عن عمارة الأرض في القرآن الكريم، ومن ثم بيان طريقتهم في التعاطي مع الموضوع (عمارة الأرض في القرآن الكريم)، وبيان موقفهم من جدال أوسع يستهدف تفريغ النص القرآني من محتواه الحقيقي، ومناقشتهم، وإظهار أن لا عمارة مع الكفر والعصيان، وأن النص (قرآنًا وسنة) بما فيه من شرائع وشعائر يكفي لتعمير الأرض وتحقيق غاية الإنسان في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

خطة البحث:

ينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

وتشمل المقدمة بيان السياق الذي تولدت منه فكرة البحث، وسؤاله الرئيسي، ومنهج البحث، وخطته؛ والمبحثان هما:

المبحث الأول: أثر الكفر والعصيان في خراب العمران.

وفيه ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: منهج التوافق مع القضايا السائدة.

المطلب الثاني: ارتباط خراب العمران بالكفر والعصيان.

المطلب الثالث: أمثلة لبيان أثر العصيان في خراب العمران.

المبحث الثاني: عمارة الأرض بالصالحين.

وفيه ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: التأمل والمنهج التجريبي.

المطلب الثاني: إتقان العمل والتخصصية والإبداع.

المطلب الثالث: التكرار وصنع عادات الإنسان.

ثم الخاتمة وفيها تلخيص للبحث ورصد لأهم نتائج البحث.

المبحث الأول:

أثر الكفر والعصيان في خراب العمران.

فى هذا المبحث محاولة لكشف أحد السياقات التى تتواجد حال مناقشة القضايا ذات الطابع العالمي. مثل قضية العمران (التعمير)، وما ينبثق عنها من حديثٍ حول الحفاظ على البيئة بما فيها من موارد طبيعية وموارد متجددة، وحديثٍ عن تلوث التربة والمياه والهواء، وحديثٍ عن الالتقاء على قيم أخلاقية مشتركة بين الناس ليتعايشوا فيما بينهم دون أن يضار بعضهم من بعضهم. ويمكن أن نسمي هذا السياق بسياق التوافق مع السائد. وبعد كشف هذا السياق وتوصيفه تتجه الدراسة لمناقشته من خلال موضوعات القرآن الكريم – والموضوع هنا هو عمارة الأرض– وذلك ببيان أن ظهور الكفر والعصيان يستلزم بالضرورة تخريب العمران. وسلكت الدراسة مسلكين لبيان ذلك، أحدهما: إبراز الآيات القرآنية التي نصّت على ارتباط الكفر والعصيان بخراب العمران، والثاني: عرض أمثلة عملية يتبين من خلالها هذه الحقائق القرآنية، مثل: أثر انتشار الفاحشة، والشح والبخل، والربا.

المطلب الأول:

منهج التوافق مع القضايا السائدة

من السياقات المعرفية الشائعة سياق التوافق مع السائد، وإن كان استشراقيًا قادمًا من الغرب، بدافع أن ما عندهم موجود فى كتابنا وسنة نبينا – صلى الله عليه وسلم–، ويظهر ذلك فى هيئة استخراج شواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية تتوافق مع هذا السائد معرفيًا؛ ومن الأمثلة على ذلك. من واقعنا المشاهد وفيما يتعلق بموضوع الدراسة. الحديث عن عمارة الأرض كقاسم مشترك بين الناس جميعًا. ونضرب مثالًا بمرحلتين، الأولى: تركّز الحديثُ فيها عن المجتمع (تفاعلات الناس فيما بينهم)، وذلك بعد ظهور الإرهاب وتهديد الآمنين، وبعد أن انتشر التنادي للمساواة بين الناس باعتبار الإنسانية لا باعتبار الدين. في هذا السياق ظهرت أطروحات معرفية تبحث عن قيم أخلاقية مشتركة يلتقي عليها بني الإنسان كلهم، وقيل وقتها إنها هى "الحريات والحقوق"، واجتهد بعض المنتسبين للإسلام فى إثبات أن ما ينادي به الغربيون من حقوق وحريات نصَّ عليها الشارع الحكيم قبلهم، فمثلًا: حرية الفكر والعقيدة، أو حرية الإيمان والكفر، قيل إنها عندنا من قَبلهم، وتم الاستشهاد بآياتٍ من الذكر الحكيم مثل قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [1] ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [2] ، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [3] ؛ ومثلًا: حرية الحق في الحياة، بمعنى أن لا تُهدد حياةُ شخص بقتلٍ حسي أو معنوي، وتم الاستشهاد بقول الله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا

---

١ سورة البقرة: من الآية ٥٦.

٢ سورة يونس: من الآية٩٩.

٣ سورة الكهف: من الآية ٢٩.

وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [١] ؛ ومثلًا: حق المساواة بين جميع البشر، فقط لكونهم بشرًا دون النظر لدينٍ أو عرقٍ، واستشهدوا بقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [٢] قالوا: التكريم لجنس الإنسان (بني آدم)؛ ومثل: الحق فى حسن المعاملة، وتم استدعاء النهي عن السخرية من أي إنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [٣]، ومثل: الحق فى سرّية الحياة الخاصة وتم استدعاء الأمر بالاستئذان والاستئناس قبل دخول البيوت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤] ، ومثل: الحق في المشاركة في الحكم، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [٥]؛ والحق في إعانة الفقراء، والعناية بذوي الحاجات الخاصة، واليتامى والأرامل، والحق في الميراث وغير ذلك[٦].

---

١ سورة المائدة: الآية٣٢.

٢ سورة الإسراء: الآية٧٠.

٣ سورة الحجرات: الآية١١.

٤ سورة النور: الآية٢٧.

٥ سورة آل عمران: من الآية ١٥٩.

٦ ينظر، "**حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية**"، للغوثي بن مالحة، مجلة كلية أصول الدين (الصراط) ، دولة الجزائر ، جامعة : ابن يوسف بن خده الجزائر ، السنة الأولى، العدد الثاني، ذو الحجة ١٤٢٠هـ، مارس ٢٠٠٠م.

وفي هذا السياق ظهر حديث عن "المشترك الأخلاقي" بين الناس، وذلك من خلال دراسات تدعي أن أكثر القيم الضابطة للسلوك قيم مشتركة بين جميع البشر، وقيل إن كل الناس يعظم الفضيلة ويدعو إلى مكارم الأخلاق، وليس ثمة ما يجعل الفضيلة تنقلب إلى رذيلة ولا الشر ينقلب خيرًا، فمهما تغيرت وجهات نظرنا للناس والأشياء فإن في حياتنا ثوابت متفق عليها، من بينها القيم الأخلاقية [1].هكذا تحدثوا. والحقيقة أن السياق السائد (الغربي) يتطور في اتجاه تفشي الرذيلة، فحسب الدراسات التي قام بها كبار علمائهم ومفكريهم فإن المجتمع الغربي تحول من تحريم التحدث عن الجنس في العلن إلى ممارسته في العلن، وكان من أهم الأدوات التي ساهمت في هذا التحول الدراسات العلمية؛ وذلك لأن الناس يخضعون، فى الغالب، لما يأتيهم تحت مسمى دراسة علمية[2]. والحقيقة التي نشاهدها في مراحل التاريخ المختلفة أن القيم التي يتعارف الناس عليها تتحول وتتبدل حسب الزمان والمكان، فقد كان الناس قبل الإسلام يتنافسون في تحصيل المروءة والذكر الحسن؛ وفي الإسلام يتنافس المؤمنون بالله وما أنزل على رسوله في تحصيل الإيمان بالله وابتغاء مرضاته فِي ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ

---

١ ينظر، "**الإنسان والقيم في التصور الإسلامي**"، لـ محمود حمدي زقزوق، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،٢٠٠٣).

٢ ذكر ذلك العالم الفرنسي "ميشيل فوكو" (١٩٢٦م-١٩٨٤م) في أربعة كتب تحت عنوان "تاريخ الجنسانية". ينظر: "**تاريخ الجنسانية: إرادة العرفان**"، لميشيل فوكو، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م)، وينظر: "**تاريخ الجنسانية: استعمال المتع**"، لميشيل فوكو، ترجمة محمد هشام، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م)، وينظر: "**تاريخ الجنسانية: الانشغال بالذات**"، لميشيل فوكو، ترجمة محمد هشام، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م)، وينظر: "**تاريخ الجنسانية، اعترافات البدن**"، لميشيل فوكو، (باريس، غاليمار، ٢٠١٨). وتمحورت الأسباب التي قدمها "فوكو" لهذا التحول حول انشغال المجتمعات بالبعد الاقتصادي وإهمال البعد لأخلاقي؛ وانتشار الحديث عن الرذيلة في المجال الأدبي، ثم ظهور دراسات علمية فسرت عامة الظواهر الإنسانية بالدوافع الجنسية وخاصة علم النفس؛ وما تلا ذلك من اختفاء مركب الزواج (الأسرة) لصالح مركب الجنسانية (اللذة والمتعة الجسدية). والمقصود هنا هو الإشارة إلى ظاهرة تحريك المجتمع في اتجاه لا أخلاقي (جنساني)، المقصود هو بيان أن القيم يمكن أن تتحول وتتبدل.

سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [١] ، وإن مع الإيمان المروءة وكل خير فالمؤمن يأمنه الناس على أموالهم وأعراضهم؛ والآن حدثت تحولات جذرية في اتجاه أخلاقي أقل مما قد كان، ولا يقتصر هذا التطور على المجتمعات فقط، وإنما يصحبه تطور ٱ قانوني، بمعنى إلزامي، بمعنى أن التطورات التى تحدث فى اتجاه أخلاقي أقل انضباطًا يُصاغ لها قانونٌ يلزم الناس بمقتضياتها.

ثم جاءت مرحلةٌ تالية تركز الحديث فيها عن عمارة الأرض، بمعنى الحفاظ على العمران من خطر التخريب بسوء الاستخدام والتعدي على البيئة فيما عرف بـ "الحفاظ على البيئة"، وفي هذا السياق بدأ الحديث عن أن الإسلام عُني بعمارة الأرض ورعاية الكون عناية خاصة وأولاها اهتمامًا مشهودًا، ابتداءً من استخلاف الإنسان في الأرض لعمارتها، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾ [٢]، والنهي عن الفساد، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [٣] ، وقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾[٤]، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [٦]، وتم استحضار الآيات الكريمات التي تجرّم إراقة الدماء، بغير حق، والاعتداء على الممتلكات الخاصة أو على مالكيها. وكذلك تم استدعاء التشريعات القانونية التي سنّها الإسلام ضد من يفسد في الأرض، مثل: حد الحرابة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ

١ سورة محمد: من الآية ٢٩.
٢ سورة هود: من الآية٦١.
٣ سورة المائدة: من الآية ٦٤.
٤ سورة البقرة: من الآية ٢٠٥.
٥ سورة البقرة: من الآية ٦٠.
٦ سورة الأعراف: من الآية ٥٦.

أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وكذلك تم استدعاء ما ورد من الأمر بالحفاظ على البيئة الطبيعية وتحريم الاعتداء على الممتلكات العامة، مثل إماطة الأذى عن الطريق ونحو ذلك [2].

والحقيقة أن ما سبق من حديث عن عمارة الأرض في القرآن الكريم هو بعض ما ذكر في القرآن الكريم عن عمارة الأرض وليس كله، فهذه الآيات الكريمات، ونحوها مما سبق ذكره في مقدمة البحث، أقرب ما تكون إلى النصوص القانونية التي تُستدعى حال التمكين في الأرض ليعمل بها أولياء الأمور في سياسة الناس، وهناك آيات أخر تبين كيف يكون خراب العمران، وكيف يكون العمران، وهو ما أحاول بيانه فيما تبقى من البحث.

١ سورة المائدة: الآية ٣٣.

٢ ينظر: "عمارة الأرض في الإسلام"، لمحفوظ ولد خير، موقع الشبكة الإسلامية (إسلام ويب) أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١١/١٥ من الرابط: عمارة الأرض في الإسلام – موقع مقالات إسلام ويب (islamweb.net) ، وينظر: " عمارة الأرض واجب إنساني"، لكمال عبد المنعم محمد خليل، موقع شبكة الألوكة، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١١/١٦، من الرابط: عمارة الأرض واجب إنساني (alukah.net) .

المطلب الثاني:

ارتباط خراب العمران بالكفر والعصيان

جُعلت المعصية سببًا مباشرًا لتخريب العمران (الفساد في الأرض)، يقول الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [١] ، والمعنى: أى: بان النقص فى الثمار والزروع بسبب المعاصي[٢]، والمعنى استعلن الفساد فى البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها، وقوله تعالى: ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ ﴾ ، أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجًا من جزاء أعمالهم في الدنيا[٣]. وفي آيةٍ أخرى سمَّى اللهُ الكافرَ مفسدًا، بل المفسدَ ب (أل) التعريفيةِ. كأنْ لا مُفسدَ غيرهُ[٤]، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [٦]. ووُصف سعي المنافقين بالفساد مع أنهم ادعوا الصلاح، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ

---

١ سورة الروم: الآية٤١.

٢ ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**"، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٦، ص٣٢٠.

٣ ينظر: "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**"، لعبد الرحمن ناصر السعدي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٦٤٣.

٤ ينظر: "**الكشف والبيان**"، لأحمد بن محمد الثعلبي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج٥، ص١٣٣.

٥ سورة ال عمران: الآية ٦٣.

٦ سورة يونس: آية٤٠.

مُصۡلِحُونَ . أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾ [1]، والفساد هنا هو الكفر والعمل بالمعصية[2]، سمّى الشيءَ بسببهِ.

وفي القرآن الكريم نصوص صريحة تبين أن خراب العمران، وأن تبدل الحال من الحسن للسيء، على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة، مرتبط بالكفر والعصيان، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [3]، والمعنى: يتنقصهم شيئًا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا[4]. ويقول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [5] ، والمراد مكة المكرمة فقد "كانت آمنة مطمئنة" ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا ﴾ [6] ، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾ ؛ و﴿ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ ﴾ كما قال الله تعالى: ﴿ يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[7] ؛ "فكفرت بأنعم الله" كما قال الله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ

---

١ سورة البقرة: الآيات ١١-١٢.

٢ ينظر: **"تفسير القرآن العظيم"**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج١، ص١٨٠.

٣ سورة النحل: الآيات ٤٥-٤٧.

٤ ينظر: **"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"**، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج٢، ص٥٦٨.

٥ سورة النحل: من الآية١١٢.

٦ سورة القصص: من الآية ٥٧.

٧ سورة القصص: من الآية ٥٧.

ٱلْبَوَارِ ﴾ [١]، فأدى العصيان إلى خراب العمران، فحين عصوا كانت النتيجة ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ ، وذلك حين دعا عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقال: " اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ"[٢]. والمعنى هذا حالها مع أنها بجوار البيت الحرام فكيف بغيرها من القرى[٣]. وقيل قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلاً لمكة، وهذا أظهر، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم [٤].

وجاء في بيان هلاك الأمم السابقة قول الله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [٥] ، والمعنى: تبين لكم خرابُ مساكنهم وخلاؤُها منهم بوقائعنا بهم، وحلول سَطْوتنا بجميعهم[٦]. ويقول الله تعالى: ﴿ وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [٧]. وظلم النفس في الآية الكريمة بوضع

١سورة إبراهيم: ٢٨.

٢ ينظر: "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**"، لمحمد ابن إسماعيل البخاري، (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، كتاب الآذان، باب يهوى بالتكبير حين يسجد، ج١، ص١٦٠، ح ٨٠٤.

٣ ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج١٠، ص١٩٤.

٤ ينظر: "**التسهيل لعلوم التنزيل**"، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي، (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ)، ج١، ص٤٣٧. وينظر: "**النكت في القرآن الكريم**"، لعلي بن فَضَّال القيرواني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٢٨٦.

٥ سورة العنكبوت: الآية ٣٨.

٦ ينظر: "**جامع البيان في تأويل القرآن**"، لمحمد بن جرير الطبري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٢٠، ص٣٤.

٧ سورة سبأ: من الآية١٩.

الكفر موضع الشكر، وكانت النتيجة أن خرب العمران وصاروا مثلًا وعبرة لغيرهم[1]، وليس فقط تخريب العمران وإنما أصاب مَن كفر حالة من الألم النفسي، ويفهم ذلك من استعمال لفظ التمزيق، فكأنهم انتزعوا انتزاعًا كما يحدث التمزيق الحسي[2].

وجاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش –رضي الله عنها– قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ» [3]، وفسر الجمهور الخَبَث بالفسوق والفجور وقيل: المراد الزنى خاصة، وقيل: أولاد الزنى والظاهر أنه المعاصي مطلقًا[4]. وهذا ربط واضح بين هلاك الأمة (تخريب عمرانها) وظهور المعصية فيها، وهذا كثير في كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [6].وقوله تعالى: ﴿ وَكَم قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا

---

١ ينظر: "**غرائب الفرقان ورغائب الفرقان**"، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج٥، ص٤٩١.

٢ ينظر: "**وظيفة الصور الفنية في القرآن الكريم**"، عبد السلام أحمد الراغب، (حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٦٩.

٣ "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**"، كتاب الفتن، باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم– ويلل للعرب من شر قد اقترب، ج ٩، ص ٤٨، ح ٧٠٥٩، **و المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (صحيح مسلم)**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ج ٤، ص٢٢٠٧، ح ٢٨٨٠.

٤ ينظر: "**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**"، يحيي بن شرف النووي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ج١٨، ص٣.

٥سورة الأعراف: آية٤.

٦ سورة الأنفال: آية٥٤.

بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [٣].

والمقصود هو بيان أن تفشي المنكر والفجور سبب رئيسي في هلاك الأمم وخراب الحضارات. وهو معنى كلي وقطعي من الدين، فالعالم البشري محكوم بشريعة النص (الإرادة التكليفية التشريعية) وشريعة القدر (الإرادة القدرية التكوينية)، وإن المخالفة للسنة التشريعية تؤدي إلى تدخل السنة القدرية القهرية، وهي سنة ربانية لا تتغير ولا تتبدل[٤]، يقول الله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [٥].

١ سورة الأنبياء: آية١١.

٢ سورة القصص: آية٥٨.

٣ سورة الطلاق: آية٨، ٩.

٤ للتفريق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية والصلة بينهما، ينظر: "**الموافقات**"، لإبراهيم بن موسى بن محمد (الإمام الشاطبي)، (القاهرة، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج ٣ ص٣٧١، وص ٣٧٣، وص ٥١٥، ج ٥، ص ٦٩-٧٠.

٥ سورة فاطر: من الآية ٤٣.

المطلب الثالث:

أمثلة تبين أثر العصيان فى خراب العمران

بعد عرض النصوص الشرعية التى تبين أن وجود المعصية يستلزم خراب العمران، أحاول تقديم نماذج عملية من واقعنا المشاهد تبين كيف تفسد الأرض مع التقدم التقني والقدرة على التعمير التى وصل إليها الإنسان المعاصر فى عديد من المجالات.

وحاولت عرض عددٍ من الأمثلة تمثل جوانب الحياة المختلفة، فكان أولها ممثلًا للجانب الخلقي المتعلق بالشخص وسلوكه بين الناس، وهو ظهور الفاحشة (الزنا)، وثانيها يتعلق بالجانب النفسي المستتر عن عيون الناس فكان المثل بـ "الشح والبخل"، وثالثها يتعلق بالتعاملات المادية فكان المثل بتحريم الربا، ثم اتجهت لبيان أن المعول في الإصلاح والفساد يرجع بالأساس إلى طبيعة الإنسان الذي يتفاعل مع الأشياء من حوله (البيئة) فكان المثل هو "البيئة والإنسان المعاصر".

أولًا: ظهور الفاحشة:

فى الحديث: " **يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلَ فِيكُمْ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ مَنْ غَيْرِهِمْ وَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ يَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَلْقَى اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ** "[1].

---

١ ينظر: "**المستدرك على الصحيحين**"، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ، كتاب الفتن والملاحم ، باب : " وأما حديث أبى عوانه " ، ج٤، ص٥٨٢ ، حديث ٨٦٢٣ ، وقال صحيح الإسناد.

وما ورد فى نص هذا الحديث الشريف نشاهد تأويله فى واقعنا المشاهد، فقد ظهرت الفاحشة وخاصة فى المجتمعات الغربية، وعمل الناس بها، بل سنّوا قوانين تحمى من يجاهر بها، فابتلاهم الله بالطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم، وكلما عالجوا مرضًا ظهرت فيهم أمراض أخرى أشد فتكًا. وذلك أنه مع تقدم تقنية تشخيص الأمراض، ومع تقدم صناعة الدواء، إلا أن الأمراض تسابق الطب وتسبقه، فمن الزهري، إلى السرطان مرورًا بالإيدز[١]. وفى التفاصيل نجد أن قدر الله يسير بين الناس بأسبابٍ ظاهرة، فالميكروبات تمتلك خاصة تطوير ذاتها ضد الأدوية التي يصنعها المختصون، وبالتالي حالة من التسابق بين الميكروب والدواء، والميكروب يسبق، والحل في تجنب أسباب المرض بداية، وأسباب المرض كلها من مخالفة شرع الله، بمعنى أن الحل هو الاستقامة على منهج الله، فالفسق والفجور من الأسباب المباشرة للخراب[٢].

ثانيًا: الشح والبخل:

يعد "الشح" أحد الأمثلة على الصفات الذميمة التى تكون سببًا فى خراب العمران، وقد ذُكر فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع: فى بيان سبب استمرار الخصومة وعدم حدوث الصلح بين المتخاصمين، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[٣] ؛ وفى موضع النصرة والموالاة بين المهاجرين والأنصار ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن

١ ينظر: "**قاموس الإيدز الطبي: مرض العصر**"، لفاروق مصطفى خميس، (القاهرة، دار الهلال،١٩٨٧).

٢ ينظر: "أثر القواعد الشرعية في التدابير الاحترازية لمواجهة الأوبئة فيرو كرونا (COVID-19) نموذجًا"، لعبد الرقيب صالح محسن الشامي، **مجلة البحوث الفقهية والقانونية**، كلية الشريعة والقانون بدمنهور – جامعة الأزهر، العدد (٣٥) الجزء الثاني، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م، ص٦٩٥-٧٦٣.

٣ سورة النساء: من الآية ١٢٨.

قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [1]؛ وفى موضع التذكير بتقوى الله وإنفاق المال فى سبيله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

وفيما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– بيان لبعض آثار التخريب التي يحدثها الشح، فقد جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» [3]، وفي رواية أحمد زيادة: " وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا " [4].

والشُّحُّ هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، يقال هما يَتَشاحّان على أَمر إذا تنازعاه لا يريد كل واحد منهما أَن يفوته[5] ، والشح أعم من البخل؛ لأن البخل يختص بمنع المال، والشح بكل شيء، والشح لازم (كامن في النفس) كالطبع، والبخل غير لازم، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره

---

١ سورة الحشر: من الآية ٩.

٢ سورة التغابن: من الآية ١٦.

٣ ينظر: "**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (صحيح مسلم)**، مسلم ابن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي، د.ت)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤، ص١٩٩٦، ح ٢٥٧٨.

٤ ينظر: "**مسند الإمام أحمد بن حنبل**"، أحمد بن محمد بن حنبل، (القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، أول مسند عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ج٦، ص٣١٠.

٥ ينظر: "**لسان العرب**" لمحمد بن مكرم بن منظور، (بيروت، دار صادر، د.ت)، مادة (شحح)، ج٢، ص٤٩٥.

وذلك هو المفلح[١]. وقد ذكر الماوردي في "أدب الدنيا والدين" أن الشح والبخل ذريعة إلى كل مَذَمّة، وخاصة أخلاق أربعة، وهى: الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق. فأما الحرص فهو شدّة الكدح والإسراف فى الطلب. وأما الشره فهو استقلال الكافية والاستكثار لغير حاجة. وأما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل فإن كان بالخالق كان شكا يؤول إلى ضلال وإن كان بالمخلوق كان استخانة يصير بها مختانا وخوّانا لأن ظن الإنسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه فإن وجد فيها خيرا ظنه فى غيره وإن رأى فيها سوءا اعتقده فى الناس. وأما منع الحقوق فإن نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها ولا تنقاد إلى ترك مطلوبها فلا تذعن لحق ولا تجيب إلى إنصاف. وإذا آل البخيل (أو الشحيح من باب أولى) إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة والشيم اللئيمة لم يبق معه خير مرجوّ ولا صلاح مأمول[٢].

والمقصود أنه حين يضعف الإيمان تظهر الأخلاق السيئة (كالشح)، والذي يؤدي إلى القطيعة والفجور وسفك الدماء والظلم، وهذه كلها من التخريب في العمران المعنوي والمادي.

وإذا ما خرجنا من دائرة عصاة المسلمين إلى الدائرة الأوسع، أعني غير المؤمنين بالله وما أنزل على رسوله –صلى الله عليه وسلم–، نجد أن الشح تمكن منهم فأدى إلى، ليس فقط الحرص والشره ومنع الحقوق على المستوى الشخصي، وإنما حدثت حالة من تعميم هذه الأخلاق السيئة (الحرص والشره ومنع الحقوق أو الظلم والبغي) فصارت أخلاقًا للدول والتجمعات البشرية (المجتمعات) فكانت النتيجة أن انتشر الفقر والجوع رغم أن أسباب الخير كثيرة، ومن الدراسات الغربية الجادة التي تبين أثر صفة الشح في ظهور الفقر

١ينظر: "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**"، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج٩، ص٥٠٨.

٢ ينظر: "**أدب الدنيا والدين**"، لعلي بن محمد بن محمد البصري الشهير بالماوردي، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢١هـ)، ص١٩٩، ٢٠٠.

والجوع على مستوى العالم، دراسة بعنوان "صناعة الجوع[خرافة الندرة]"[1]، وفيه أمثلة لقلة من الأغنياء تتعمد إهدار الثروة من أجل مزيدٍ من الكسب، دون نظر لأضرار تسببها لكثير من الناس، فكانت النتيجة أن ازداد الفقير فقرًا وازداد الغني غنى. ولذا رصد الدارسون ما سمّوه بـ "استراتيجيات صناعة الندرة" وذلك من أجل الحفاظ على أسعار السلع كما هى أو زيادتها، وضربوا المثل بما فعلته بعض الدول الكبرى من تخفيضٍ حاد فى إنتاج القمح للحفاظ على أسعاره، ومنع دول العالم الثالث من أن تنتج ما يكفيها من الغذاء، وكانت النتيجة، حسب هذه الدراسة، وجود أكثر من نصف مليار جائع! وكانت النتيجة، كذلك، أن ٣٪ من سكان العالم يتحكمون فيما يقارب ٧٧٪ من مساحة الأراضي الزراعية، وأن ما يزرع من مجمل الأراضي الزراعية لا يتجاوز ٤٤٪، بينما لا تصل النسبة في بلدان العالم الثالث إلى ٢٠؛ ومثَّل القائمون بهذه الدراسة بأمثلة تفصيلية كثيرة، منها: انهيار سعر الأرز في وقت الحصاد كل عام، يحدث ذلك عمدًا بفعل "كبار رجال السوق"، مما يضطر الفلاحون إلى بيع كميات كبيرة ليسددوا ديونهم الربوية. وفي الكتاب أمثلة كثيرة تبين سيطرة قلة في الإنتاج والأسعار مما جعل المال دولة بين الأغنياء فازدادوا غنى وتعديًا ولم يستفد كثيرون مما حدث من تطور تقني يحسبه بعضنا عمرانًا، أو تعميرًا في الأرض. بمعنى أن غياب الإيمان بالله والتخلق بما أمرنا به من أخلاقٍ حميدة أضاع فائدة التقنية الحديثة بل جعلها تعمل في اتجاه مضاد.. في اتجاه التخريب المادي أو المعنوي أو كلاهما، أو جعلها لا تفيد إلا قلة قليلة من الناس.

١ ينظر: "**صناعة الجوع (خرافة الندرة)**"، لفرانسيس مور لابيه وجوزيف كولينز، ترجمة أحمد حسان، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤م).

ثالثًا: تحريم الربا:

في صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية أن التعامل بالربا يؤدي، حتمًا، إلى نقصان المال وذهاب بركته، يقول الله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [1]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : يخبر الله تعالى أنه يمحق الربا، أي: يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يَحْرمَه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة[2]. وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– عن رسول الله –ﷺ– أنه قال: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلاَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ».[3]، ونجد تأويل ذلك في واقعنا المشاهد فالربا أحد الأمثلة التي من خلالها يمكننا أن نرى بوضوح كيف أن غياب الإيمان أدى إلى عدم حدوث عمران حقيقي، رغم وفرة المال، ورغم التطور التقني في مجال الخدمات المالية، ويتحدث خبراء الاقتصاد على أن إدارة المال على مبدأ الربا يؤدي إلى أضرار جسيمة تنتهي بخراب العمران، ومن أهم هذه الأضرار: ظهور خلل في توزيع الثروة والموارد الطبيعية، وذلك أن المرابي يربح دائمًا، وبالتالي يزداد غني ويزداد المقترض (الفقير) فقرًا؛ ومن آثاره فَقْدُ المال كثيرًا من قيمته مما أدى إلى ارتفاع الأسعار (التضخم)؛ ومن آثاره عدم امتزاج عناصر الإنتاج، وذلك أن صاحب المال (المقرض) لا يدخل في عملية الإنتاج (التصنيع)، حيث إن

---

١ سورة البقرة: الآية ٢٧٦.

٢ ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**"، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج١، ص٥٥٠.

٣ – ينظر: "**سنن ابن ماجة**"، لمحمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه)، (بيروت، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، ج٣، ص٣٨٢، ح٢٢٧٩. وصححه السندي في حاشيته، وينظر: "**حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)**"، لمحمد بن عبد الهادي التتوي (أبو الحسن نور الدين السندي)، (بيروت، دار الجيل، د. ت)، ج٢، ص٤٠، ح ٢٢٧٩.

دوره يقتصر على تقديم المال مع ضمان رأس المال والربح، ويتحمل المقترض مخاطر الإنتاج وحده وهذا من شأنه أن يقلل خبرات العمل (حيث يقتصر التعاطي مع التصنيع والتجارة على المقترض فقط دون الغني صاحب المال)؛ ومن آثار الربا الضارة التي أدت إلى تخريب العمران تحول المال (النقود) إلى سلعة، وظهور المتاجرة في الدين مما راكم الديون على الفرد العادي[1]. والمقصود أن الانحراف عن الشريعة بإقامة المال على منظومة الربا أدى إلى خراب العمران رغم التقدم التقني في مجال المال، فحين حضر الكفر والعصيان ظهر الفساد في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [2].

رابعًا: البيئة والإنسان المعاصر:

في العقود الأخيرة بدأ التنادي لحماية البيئة ضد المخاطر التي تهددها [3]، ويقصد بهذه المخاطر الاستنزاف الذي أصاب الموارد الطبيعية كالفحم والبترول والغاز الطبيعي والمعادن، والموارد المتجددة مثل: مصايد الأسماك والغابات والمراعي والأراضي الزراعية؛ وما أعقب كثرة الاستخدام من تلوث التربة الزراعية نتيجة الاستعمال الكثيف للمخصبات الزراعية والمبيدات الحشرية، وتلوث المجاري المائية (الأنهار والبحيرات)، وتلوث الهواء بالغازات الضارة المتصاعدة من المصانع؛ ويلحقون بذلك الزيادة المضطردة في عدد

---

١ ينظر: "**الربا والفائدة بين الفقه والاقتصاد**"، لكمال توفيق خطاب، موقع مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٧ من الرابط: https://www.cilecenter.org/ar/resources/articles-essays/alrba-walfaydt-byn-alfqh-walaqtsad

٢ سورة الروم: الآية ٤١.

٣ كان أول نداء في ٢٢ إبريل ١٩٧٠م، واتخذ عيدًا، وسمي بـ "يوم الأرض" ويتضمن الآن فعاليات نظمتها عالميًا شبكة يوم الأرض في أكثر من ١٩٣ بلدًا حول العالم، ولهم موقع خاص على الشبكة العنكبوتية هذا رابطه: Earth Day: The Official Site | EARTHDAY.ORG

السكان والتي تمثل، حسب زعمهم، خطرًا على الموارد الطبيعية وتنذر بمزيدٍ من النفايات والتلوث؛ وإن أخطر ما في مشاكل البيئة أنها لا تنحصر في منطقة دون غيرها، بمعنى أن إهمال بعض البشر يتضرر منه كثير منهم إن لم يكن جميعهم، ومثال ذلك مشكلتي ثقب الأوزون وارتفاع درجة حرارة الأرض [١].

ويهمنا هنا رصد أن أهم الحلول المقترحة تتجه إلى طبيعة بناء الفرد. من فرد مستهلك للموارد ومنتج للمخلفات إلى فرد مقتصد فى تعاطيه مع الموارد وبالتالى مخرجاته من المخلفات بمختلف أنواعها[٢]. لذا نستطيع أن نقول إن السبب فى الأزمة البيئية التى تمر بالبشرية اليوم راجع إلى المناهج العلمانية التي أنتجت الإنسان المعاصر، أو المناهج التى حولت الإنسان من إنسان مقتصد ينافس في تحصيل المكارم إلى إنسان مستهلك، ينفق ماله فى متعٍ وملذاتٍ مؤقتة ولا يكاد يتوقف عن إفراز مخلفات تؤذي البيئة. ولا تتوقف المشكلة على أسباب الأزمة فقط، بل على الحلول التى يقترحونها، فمن ضمن الحلول التى يقترحونها التخلص من بعض البشر عن طريق نشر الأوبئة والأمراض، أو أنهم يرون أن بعض البشر عالة لا قيمة لهم[٣]، وهذه كارثة أخرى ترجع لغياب الإيمان بالله وأنه ضمن الرزق لعباده، يقول الله تعالى:

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ

١ ينظر: "**البيئة من حولنا دليل لفهم التلوث وآثاره**"، لترافس واجنر، ترجمة: محمد صابر، (القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٧م).

٢ ينظر: "**على من تقع المسؤولية الحقيقية لحماية البيئة؟**"، لزيد بن محمد الرماني، موقع شبكة الألوكة، قسم ثقافة ومعرفة، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/١١، من الرابط: على من تقع المسؤولية الحقيقية لحماية البيئة؟(alukah.net)

٣ ينظر: "النمو السكاني في العالم معضلة دولية"، لهارولد.ف. دورن، في: "**التحركات السكانية في تاريخ أوروبا الحديث**"، لهربرت موللر، **ترجمة شوقي جلال** ، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١)، ص ٢٢٨-٢٤٩.

مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. و" يعدكم" معناه يخوفكم" الفقر" أي بالفقر لئلا تنفقوا. فالشيطان يثبط الإنسان عن الإنفاق فى سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء وهى المعاصي والإنفاق فيها[2]، فالإنسان المعاصر الذى أنتجته مناهج العلمانية من ناحية يتسبب فى حدوث الأضرار كونه استهلاكيًا ولا يراقب ربًا فى تصرفاته ويحتاج إلى جهدٍ كبير فى ضبط سلوكه، ومن ناحية أخرى يقدم حلولًا أكثر ضررًا على أخيه الإنسان، والسبب غياب الإيمان بالله.

١ سورة البقرة: آية ٢٦٨.

٢ ينظر: "**الجامع لأحكام القرآن**"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج٣، ص٣٢٨.

المبحث الثاني
عمارة الأرض بالصالحين.

أحاول فى هذا المبحث الإجابة على الشق الثانى من السؤال الرئيسي، وهو: كيف تعمرُ الأرضُ بمن غايته عبادة الله وتعبيد الناس لله؟!، أو: كيف أن الالتزام بالنصّ الشرعي يثمر عُمرانًا. وتقدم الدراسة إجابة فى مستويين، أو من خلال مسلكين: أولهما: مسلك نظري يبين نصوص الكتاب والسنة ربطت بين الإيمان بالله والتحلي بالتقوى وعمار الأرض، واختصرت فى هذا المسلك على اعتبار أنه يفهم من مفهوم المخالفة لما سبق بيانه في المبحث الأول من أن المعصية تكون سببًا في خراب العمران، ولذا اكتفيت بإشارات تعضد ما ذكر فى مقدمة البحث، وثانيهما: مسلك عملي تطبيقي، وذلك من خلال نماذج عملية تحققت بالفعل فى الأجيال الأولى للمسلمين (الصحابة والتابعين لهم بإحسان)، مثل: ظهور المنهج التجريبي وكيف أنه أثمر تحولًا كبيرًا فى العلوم والمعارف من حيث العموم؛ ومثل: إتقان العمل والثبات عليه وكيف أنه كان طريقًا لإنتاج تخصصية عالية أثمرت إبداعًا في شتى المجالات؛ ومثل: صنع عادات الإنسان وسلوكه من خلال التكرار فى القرآن الكريم والشعائر؛ ومثل: حماية الإنسان والبيئة من كثيرٍ من الأضرار عن طريق بيان سلوك المؤمن والكافر بعد المعارك، وبناء المدن. تحاول الدراسة من خلالها بيان الفكرة الرئيسية للبحث وهى أن الأرض تعمر بالصالحين حال وجودهم، وهى أمثلة يقاس عليها وليست استقصاءً.

المطلب الأول:

التأمل والمنهج التجريبي:

فى القرآن الكريم آيات بيّنات يظهر من خلالها التلازم بين تحقيق الإيمان والتقوى وعمارة الأرض، مثل قول اللهِ تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [1]، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [2] ، وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [3]، ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [4] وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [5] ، ويُظْهِرُ علماءُ التفسير عددًا من المعانى حال الحديث عن هذه الآيات الكريمات، وأهم هذه المعانى: عموم وشمول الرزق الذى يأتى المتقين: ﴿ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ ، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ،﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ ﴾ ، وكأن الخير (المطر) سينزل من السماء كلها لا من السحب وحدها، ومثله: ﴿ مَّآءً غَدَقًا ﴾

١ سورة المائدة: من الآية ٦٦.

٢ سورة الأعراف: آية ٩٦.

٣ سورة هود: من الآية٣.

٤ سورة نوح: الآيات١٠ –١٣.

٥ سورة الجن: آية ١٦.

، والماء الغدق يعنى الماء الكثير ، وإن لم يكن مطرًا [١]، كماء الأنهار والعيون التى تتفجر من الصخر والرمال؛ وقال بعضهم معناه من غير كَد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء، وقال بعضهم: معناه: لكانوا فى الخير، كما يقول القائل: "هو فى الخير من قرنه إلى قدمه"[٢]. وليست الكثرة فقط، بل معها البركة أيضًا، وأصل مادة البركة يدور على اللزوم والثبوت، بمعنى ثبوت الخير الإلهي فى الشيء[٣]، ويكون المعنى: المواظبة على الشي، أو: تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الأرض ورفعنا عنهم القحط والجدب[٤]. **وهذا التأصيل النظري، له تأويل (تفسير) عملي، ويتضح ذلك جملةً من امتثال الصحابة – رضوان الله عليهم– بالنص الشرعي، كما سيتضح مما يلي:**

أوجدَ المسلمون تحولًا وتطويرًا كبيرًا فى العلوم الإنسانية من خلال الامتثال للنص القرآني[٥]، والعلوم الطبيعية[٦]، مما أدى إلى إحداث طفرة فى عمارة الأرض سواءً فى المستوى المادي أم المستوى المعنوي، وكان **بداية ذلك ومنطلقه من ترسيخ التأمل والتفكر ومحاولة الفهم والتفسير ومن ثم التعرف على المآلات (عواقب الأمور) كمنهج حياة.**

---

١ ينظر: "**جامع البيان في تأويل القرآن**"، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٢٣، ص٦٦٤.، وينظر: "**معاني القرآن وإعرابه**"، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص٣٦٠. وينظر: "**مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**"، للفخر الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج١٢، ص٣٩٩.، وينظر: "**تاج العروس من جواهر القاموس**"، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق (المرتضى الزبيدي)، (بيروت، دار الفكر العربي،١٤١٤هـ)، ج١٣، ص٣٧٠.

٢ ينظر: "**تفسير القرآن العظيم**"، لإسماعيل بن عمرو بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج٣، ص١٤٨.

٣ ، ينظر: "**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**"، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٠٩.

٤ ينظر: "**لباب التأويل في معاني التنزيل**"، لعلاء الدين علي بن محمد (الشهير بالخازن)، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٢، ص٢٦٦.

٥تتضمن ما يتصل بالإنسان مثل علوم الشريعة، واللغات، والأدب، والتاريخ، والفلسفة،،،

٦ كالفيزياء، والكمياء، والرياضيات، والفلك.

قبل المسلمين كانت عامة المعارف علومًا نظرية.. فلسفية بحتة. وما يعنينا هنا هو أن هذه النقلة الهائلة التى أحدثت طفرة كبيرة فى العلوم التى أسست لعمارة ممتدة إنما جاءت من الالتزام بأمرِ الله ونهيهِ في كتابه وسنة رسولهﷺ؛ وبيان ذلك كالتالي:

القرآن الكريم أجاب على الأسئلة الثلاثة الأهم فى حياة الناس، وهى : من خَلَقَهم وخَلَقَ كل شيء؟ ، وماذا يراد منهم فى هذه الحياة ؟، ثم ماذا ينتظرهم بعد الوفاة؟؛ ومن خلال الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة يتم ربط العبد بربه فى كل شيء، ربطَ مخلوقٍ بخالق، ربط فقير لا يملك شيئًا بغني مالك كل شيء، بمعنى ترسيخ الحقيقة الكبرى فى هذه الحياة وهى أنَّ الله ـ تعالى ـ هو المعبود وحده، وله غيب السماوات والأرض، وإليه المرجع والمصير. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[1]. وواحدة من أهم الطرق التى يعلمنا الله إياها فى كتابه للاهتداء إلى تفرده بالكمال والعبادة التأمل (التدبر) فى كل شيء وفى جميع الأحوال. التأمل (التدبر) فى القرآن الكريم ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[2]، والتأمل (التدبر) فى آثار السابقين من نجا منهم ومن هلك ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[3]، والتأمل فى ذات الإنسان: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[4] وفى جميع الأحوال. فحينًا يأمر الله عباده بالسير فى الأرض من أجل النظر والتأمل ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ ﴾[5] ، وحينًا

١ سورة هود: الآية ١٢٣.
٢ سورة ص: من الآية ٢٩.
٣ سورة محمد: من الآية١٠.
٤ سورة الذاريات: الآية ٢١.
٥ سورة النمل: من الآية ٦٩.

لا يكون أمرًا بل حضًا على السير والتأمل، ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ ﴾ [١] وحينًا لا يكون أمرًا ولا حضًا وإنما طلبًا رقيقًا ممن يضرب فى الأرض أن يتأمل حال سيره، ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [٢]. بمعنى أن الله العليم الحكيم، سبحانه، في كتابه الكريم دعا إلى إعمال الفكر في كل ما يرد على الإنسان فحتى الذين لا يستطيعون السير عليهم أيضًا أن يتأملوا في الأخبار التي تأتيهم ممن ساروا وشاهدوا، ويستنبط هذا من ختام هذه الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾[٣]، وذكر السماع لينبه من لم يمش إلى أن يتأمل فى الأخبار التى سمعها ممن مشى فى مساكن السابقين ورأى كيف هلاكهم بعد أن عصوا رسل الله.

ويفهم من الدعوة للتأمل في كل شيء وفي جميع الأحوال، أن الله، سبحانه وتعالى، يُرسخ التأمل منهجًا للحياة. بمعنى جعل التأمل حالة تتصف بها الشخصية المؤمنة بالله وما أنزل على رسوله. فليس للمؤمن المطيع لله ألا يفكر فيما يعرض عليه. بمعنى صياغة شخصية يقظة تدقق النظر وتعمل الفكر فيما يَرِدُ عليها. وقد ظهر هذا جليًا في الصحابة –رضوان الله عليهم–، فأثمر تأملهم وتفكرهم تساؤلات ظهرت كأنها اعتراض أو استشكال: في مكائد الحروب: (أمنزل أنزلك الله أم هى الحرب والمكيدة؟ .... ليس بمنزلٍ إذًا يا رسول الله)[٤]، (رأي تراه لنا أم وحي أمرك الله به... ليس لهم عندنا

---

١ سورة الروم: من الآية ٩.

٢ سورة الأنعام: الآية ١١.

٣ سورة السجدة: الآية ٢٦.

٤ ينظر: "**السيرة النبوية**"، لعبد الملك بن هشام، (القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ج١، ص٦٢٠.

إلا السيف)[1]، وفى التشريعات: (أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا)[2] فكانت شخصية يقظة تمارس التفكير والنقد وتعبر عما فى صدرها دون خجلٍ. نعم هذا حالهم، وهم أطوع الناس، وهو سيد الناس، رسولٌ مؤيدٌ بالوحي من الله –صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم–. وحين يترسخ التأمل فى الشخصية المسلمة فإن الناس ينصرفون إلى ما يحسنون أو إلى ما يحبون، كل يتأمل فيما يحسنه أو فيما يحبه، وذلك أن الناس متخصصون بطبعهم، وهذا واضح من مواقف الصحابة، رضوان الله عليهم، فمن تحدث فى تحديد أرض المعركة غير من تحدث فى بيان شأن الأسرى، غير من أشار بحفر الخندق. كل موقف يستدعي الذين يفهمون فيه، ويحترم كل واحد إمكاناته الشخصية (تخصصه) فلا يتحدث فيما لا يعلم. وحين انتشر الدين تخصصوا أيضًا: فكان بعضهم فى حلق العلم فقيهًا كزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وعبد الله بن عباس وأبي هريرة، وكان بعضهم فى القتال يدير المعارك كأبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد أو ينازل الأبطال كالحمزة ابن عبد المطلب والزبير بن العوام، وكان بعضهم فى السياسة والحكم كأبي بكرٍ وعمر بن الخطاب، وكان بعضهم فى قراءة القرآن وتعليمه كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب، وكان بعضهم فى التجارة كعبد الرحمن بن عوف؛ ثم كان الأئمة بعد ذلك: فقهاء كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والليث ابن سعد، ومحدثين كالبخاري ومسلم وأصحاب الكتب الستة، ومؤرخين كابن

١ المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٣.

٢ والحديث بتمامه عن أنس بن النضر –رضي الله عنه–: أن الرُبيّع وهي ابنة النضر (أخته) كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش وطلبوا العفو فأبوا فأتوا النبي –صلى الله عليه وسلم– فأمرهم بالقصاص فقال أنس بن النضر أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال (يا أنس كتاب الله القصاص). فرضي القوم وعفوا فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره). ينظر: "**صحيح البخاري**"، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب الصلح، باب الصلح في الدية، ج٢، ص٩٦١، ح٢٥٥٦.

إسحاق وابن هشام، وأدباء كالخليل بن أحمد، وعلماء فى العلوم الطبيعية كالخوارزمي والبيروني.

والمقصود أن التدبر حالة. وصفٌ لازم للشخصية المسلمة. ويظهر فى مجالات متعددة حسب ما يحسن الشخص أو ما يحب. وكان نتيجة ذلك أن بدأ المسلمون علومًا خاصة بهم، بل نستطيع أن نقول: بدأ مشروع حضاري متكامل فى شتى المجالات انطلاقًا من مبدأ التأمل الذي رسخه الله سبحانه وعز وجل- فى كتابه. فأسس المسلمون علومًا نظرية لم تُعهد من قبل كعلم الرجال (ضبط السند)، والفقه (الأحكام التفصيلية)، ودونوا التاريخ، وانطلقوا للعلوم الطبيعية بأنواعها (الفلك، والرياضيات، والكمياء، ... وغيرها) من الحاجة إليها ومن منطلق التأمل الذي رسخه الله في كتابه وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وهذا شديد الوضوح في جميع المجالات فقد سعوا لتعلم الرياضيات حين انتشرت تجارتهم ووجدوا أن طريقة الحساب التقليدية لا تكفي لحساب عملياتهم التجارية، فكان أن نشط الخوارزمي في البحث عن "الصفر" وطريقة الآخر فى الحساب غير التى اعتادها العرب، ونشطوا لتعلم الفلك لضبط وقت الصلاة، ونشطوا لتعلم الهندسة والرياضيات حين اتسع العمران وكثر الناس واحتيج لتشييد البيوت الكبيرة[١]؛ ومن أوضح الشواهد على أن النص، بما رسخه من مبدأ التأمل والتفكر، يكفي لإنشاء عمارة (نهضة) حالُ أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه، وذلك بما أوجده من أوليات فى مجالات شتى لم يسبق إليها، وبدهي أنه لم يتصل بغيره ليتعلم منه ويتدرب على يديه[٢].

نعم أفاد المسلمون من علوم غيرهم، ولكن، يجب أن نلاحظ أن هذه الإفادة جاءت على سياق، أو مشروع حضاري تأسس بدايةً من الكتاب والسنة، ثم تم انتقاء ما فيه فائدة لهذا المشروع مما هو موجود عند الآخرين فالمسلمون

١ ينظر: "**الأعلام**" لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج٧، ص١١٦.

٢ ينظر: "**أوليات الفاروق في السياسة والإدارة والقضاء**"، غالب عبد الكافي القرشي، (القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م).

لم يخضعوا خضوعًا أعمى قط لما جاءهم من علوم اليونانيين وإنما مارسوا النقد فراجعوا وصححوا وأخذوا ما يخدم مشروعهم[1]، فكانت الإفادة من الأمم الأخرى في البدايات طفيفة جدًا لا تكاد تذكر، وفي أمور فرعية تتعلق بتسيير شئون الحياة، مثل البريد، والعسس (التعرف على أخبار الناس ليلًا دون دراية منهم)، والدواوين (تسجيل أسماء الجنود ومن لهم الحق في رواتب منتظمة من الدولة) كان هذا في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وفي عهد التابعين أخذوا بعض ما استحسنوه من الفرس في إدارة شئون الحياة اليومية، مثل إسقاط الضرائب عن المزارعين، وإعطاؤهم البذور الجيدة دون مقابل؛ ولم يشارك أفرادهم في تأسيس الدولة في عهد الراشدين أو عهد التابعين وتابعيهم. وبدأ الاتصال الثقافي متأخرًا في نهاية القرن الثاني من خلال الترجمة التي أنشأها ودعمها الخليفة العباسي المأمون(١٧٠هـ-٢١٨هـ) (٧٨٦م-٨٣٣م)، وفي علوم الفلسفة بالأساس[2]. والمقصود أن الاتصال بالحضارات الأخرى جاء متأخرًا (في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث)، بمعنى أنه جاء بعد التأسيس. وما نُقلَ في العلوم التقنيةِ نُقل إلى سياقِ من البحثِ العلمي أنشأه المسلمونَ ووضعوا فيه ما تحصلوا عليه من علوم عند الآخرين، مع الأخذِ في الاعتبارِ أن ما حصلهُ المسلمون كان شيئًا مُهملًا.. وريقاتٍ ممزقةٍ.. معارفَ مبعثرةً.. قليلةً.. ولولا أنها وُضعتْ في سياقِ جادٍ ناهضٍ لما تطورتْ. فالحاصل أن المسلمينَ الأوائل نهضوا واستجلبوا آثار العلم المتواجدة عند غيرهم وطوروها، لا أنهم التحقوا بمراكزَ بحثية مشيدة وأمم قوية ناهضة وتعلموا منها ثم قلدوها. ومن يتتبع سيرة أوائل علماء الطبيعة المسلمين، كالخوارزمي والبيروني وابن

١ ينظر: "**علم الرياضيات في التاريخ الإسلامي**"، لعبد الحليم عويس، موقع شبكة الألوكة، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٣١، من الرابط: https://2u.pw/hJac3

٢ نص على ذلك العلّامة أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته للتاريخ، حيث ذكر أن المسلمين لم يستفيدوا من علوم الفرس، وذكر، أيضًا، أن أول اتصال معرفي بعلوم الرومان كان في عهد العباسيين (القرن الثاني الهجري)، ينظر: "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١/٦٣١.

سيناء وابن الهيثم.. يرى بوضوح أنهم متأخرون عن فترة التأسيس والازدهار وأنهم أخذو كتابات مهملة، وقاموا بتنقيحها وتطويرها، وأنهم لم يخالطوا أمما متقدمة تتلمذوا على أيدي علمائها[١]، وأزيد الأمر بيانًا من خلال التعريج على بناء المدن فى الأجيال الأولى من هذه الأمة.

بناءُ المدنِ:

من أوضح الأمثلة على ما سبق بيانه من طبيعة التواصل مع الأمم السابقة وخصوصية هذه الأمة، هندسةُ المعمار، حيث خرجت من عندنا فى صيغة خاصة جدًا عبارة عن أقواس ودوائر، وهى بهذا الشكل (الأقواس والدوائر) تترجم قيمة عليا عندنا، هذه القيمة هى محورية المسجد فى قلب المدينة، كمحورية الكعبة لكل المسلمين.

ارتكز المسلمون على المسجد بدايةً.. يقومون ببنائه فى أولِ يوم ينزلون فيه مكانًا ما، وبجواره السوق تسهيلًا على الناسِ فى قضاءِ حوائجهم، بمعنى أن تكون الأغراضُ اليوميةُ بجوارِ المسجدِ الذى يُؤتى إليه كلَّ يوم خمس مرات، ثم يستديرون حول المسجدِ فى حلق كما يفعلون حول الكعبة، من هنا جاءت فكرةٌ جديدةٌ للعمرانِ (تعميرَ المدنِ)، فى هيئةِ دوائرِ وأقواسِ، وأصبحَ الفنُ الإسلاميُ يتكئُ على فكرة الدوائر فى البنيان وفى تشييد المدن، وظهرت بركة هذا الأمرِ فى نواحي عدة، منها: قربُ الوصولِ لمركزِ المدينةِ من أطرافها، وعدم تمركز الشمسِ فى طول الشارع فلا يشق على من يسير فيه بخلافِ السير طويلًا في الشوارع المستقيمة، وغير ذلك[٢]..

والمقصودُ: أن العمرانَ (البنيان) جاء من قيمةٍ أخرى.. العبوديةِ.. جاء ثمرةً لها.. نَبَتَ من الالتزام بالنصّ الشرعي دون أن يكونَ هدفًا من البدايةِ.

---

١ ينظر: "**العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية**"، لـ دونالد هيل، ترجمة أحمد فؤاد الباشا، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٤).

٢ ينظر: "**جماليات الشكل الهندسي في الفن الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة**"، لهيام مهدي سلامة، مجلة العمارة والفنون، العدد الثالث، صيف ٢٠١٦م، ص٣٠٧-٣٢١. ولمزيد من الأبحاث في هذا المضمون ينظر موقع مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، أخذ بتاريخ ١١/٢٨/ ٢٠٢١م، من الرابط: https://mjaf.journals.ekb.eg/

المطلب الثاني:

إتقان العمل والتخصصية والإبداع.

أسس المسلمون الأوائل علومًا جديدة في عددٍ من المجالات، مثل: الفقه، وأصوله، والسيرة والتاريخ، وعلم الرجال (المتعلق بعلم الحديث)، وطوَّروا علومًا قائمة كالعلوم الطبيعية (الرياضيات والهندسة والفلك..)، والأدب والبلاغة. وحين تدقق فى ظاهرة تأسيس علوم جديدة وتطوير العلوم القائمة، حين تتأمل فى هذه الطفرة العلمية التى قام بها جيل الصحابة والتابعون، وهم لم يتعلموا، من غير الكتاب والسنة تجد أن الأسباب الرئيسية أربعة: أولها: إتقان العمل، وثانيها: استفراغ الجهد وترك الكسل والدعة، وثالثها: المداومة، ورابعها: جعل التفاضل بالتقوى. فهذه الأربعة حين تجتمع تكون المحصلة شخصية جادة تعمل للإتقان (الإحسان فى العمل) لا للشهرة ولا للأجر، شخصية تستفرغ وسعها فيما تفعله، وتستمر لا أنها تعمل حينًا وتقعد عن العمل أحيانًا، حوَّلت، هذه الأربعة، الإنسان من جاهلي يأتى المنكرات ما ظهر منها وما بطن إلى إنسانٍ أحدث أكبر تحولٍ وأزكى تحولٍ فى تاريخ العمران البشري.

وقد حثت الشريعة على إتقان العمل، وجُعل الاتقان مقصودًا لذاته. وذلك فيما أخبرنا الله به من أنه، سبحانه وتعالى وعز وجل، مُطّلع على عمل العامل، وأن عمل العامل معروض على الله يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1] . وفى حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: " إِنَّ اللَّهَ

١ سورة التوبة: الآية ١٠٥.

يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[١]؛ ومما يدل على أن الاتقان مقصود لذاته ما جاء فى الحديث من الحث على تسوية القبر، يقول -ﷺ-: " أَمَا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ "[٢]، بمعنى أن الاتقان هدفٌ للمحبين لله ورسوله الممتثلين لأمره. ومن الأدلة ردُّ عمل من لم يتقن، ودليل ذلك المسيء صلاته.. هذا الذى لم يتقن صلاته فأمره النبي -صلى الله عليه وسلم- بإعادتها[٣].

ودليل الحث على الاستدامة ما جاء فى الصحيحين: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» [٤]، وما جاء فى وصف عمل رسول الله -ﷺ- بأنه " كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً " [٥]، وفى رواية: " كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ "[٦] ، ويستدل على هذا المعنى (بذل الجهد قدر المستطاع، وعدم التراخي)، أيضًا، بما جاء فى الحث على العمل وعدم اليأس كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [٧]، وقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾[٨]وأما جعل التقوى قيمة عليا فهو من أوضح

---

١ ينظر: "**شعب الإيمان**"، لأحمد بن الحسين البيهقي، (الرياض، مكتبة الرشد،١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، باب الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، ج٧، ص٢٣٢، ح ٤٩٢٩. قال صاحب مجمع الزوائد، "رواه أبو يعلي وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة"، ينظر، "**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بغية الرائد)**"، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ)، كتاب البيوع، باب نصح الأجير وإتقان العمل، ج٤، ص١٧٥.

٢ المرجع السابق، باب الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، ج٧، ص٢٣٤.

٣ ينظر: "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**"، لمحمد إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب الآذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم فى الصلوات كلها فى الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، ج١، ص١٥١ .

٤ المرجع سابق، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، ج٥، ص٢٢٠١، ح٥٥٢٣.

٥ المرجع السابق ، كتاب : الصوم ، باب : **هَلْ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الأَيَّامِ** ، ج ٣ ، ص ٤٢ ، ح ١٩٨٧ .

٦ أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : **جَامِعِ صَلاَةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ** ، ج ١ ، ص ٥١٥ ، ح ٧٤٦ .

٧ سورة يوسف: من الآية ٨٧.

٨ سورة الشرح: الآية٧.

الأمور فى كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– وحال الصحابة رضوان الله عليهم، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [1] ، ويجب أن نستحضر هنا أن التقوى قيمةً خُلُقيةً وليست وظيفة أو مهنة، ما يعني أنها لا تُعيقُ أحدًا من الاتجاه إلى ما يُحسنُ أو إلى ما يحب، فكلٌ يُنافسُ فى تحصيلِ التقوى من حيث يحسن أو من حيث يحب، كما أن التقوى لا تتوقف على حسب أو نسب أو صفات جسدية، بمعنى أن الكل يستطيع تحصيلها.

فكانت المحصلة أن تفرق الناس كل إلى ما يحسن أو إلى ما يحب، وكان أن استفرغ كل واحدٍ جهده فيما اتجه إليه، وأدام عمله، وأتقنه، فظهر الإتقان الذى هو التخصصية العالية (الإبداع) في شتى المجالات. وظهر سريعًا، فلم يكد يمضي نصف قرن من عمر البعثة المحمدية حتى ظهرت التخصصات المختلفة فى المجتمع المسلم: الفقه، والسيرة والتاريخ، والقراءات، والحديث (علم الرجال.. الرواية، وعلم الدراية.. تفقد النص)، والأدب والشعر، ثم تتابعت العلوم الطبيعية تبعًا لحاجة المسلمين إليها، فحين احتاجوا لضبط وقت الصلاة فى البلدان الجديدة التى يختلف مناخها عن مناخ مكة والمدينة، كالشام وما بعدها من الدول اتجهوا للفلك فدرسوا ما عند غيرهم وزادوا فيه انطلاقًا من ثوابتهم وبحثًا عن كفايةٍ لحاجتهم[2].

والمقصود أن هذه التخصصية، وهذا الإبداع، جاء من امتثال لنصوص شرعية، ولم يكن مقصودًا لذاته، أو جاء من أشخاصٍ تم صياغتهم بنصوص شرعية بحتة.

---

١ سورة الحجرات: الآية ١٣.

٢ من أفضل من تحدث عن جهد المسلمين في العلوم التقنية الدكتور جورج صليب وله عديد من الكتب واللقاءات المتلفزة يتحدث فيها شارحًا ومدافعًا عند دور المسلمين في التقدم التقني. ينظر: "**الفكر العربي: نشأته وتطوره**"، لجورج صليبا، (لبنان، منشورات جامعة البلمند،١٩٩٨م).

القتلى فى معارك الإسلام والقتلى فى معاركِ الأممِ الأخرى:

كانت معارك الأمم الأخرى بمثابة كارثة تَحل بأهل المنطقة التي يحدث فيها القتال، ليس فقط من تعرض المنطقة لإضعاف قدراتها المادية بسبب تمويل الجيش طوعًا أو كرهًا، وإنما كانت الكوارث تحل لسببٍ آخر، هو عدم دفن القتلى وترك الجثامين تعفن، مما يؤدي إلى انتشار الأوبئة والأمراض التي تفتك بأهالي المنطقة، وتكون المحصلة أن عدد من يموت بعد المعركة أضعاف من يموت في القتال المباشر حال المعركة. بخلافِ المعاركِ الإسلاميةِ التي لم تكن تسببُ أي ضررٍ للمنطقةِ التي يَنشبُ فيها القتالُ ولم يكن يُقتل في المعركة إلا من يُجهز عليه حالَ القتال. والسببَ هو أنَّ الفردَ المسلمَ امتثلَ لأمرٍ رباني، هذا الأمرُ الرباني هو: التعجيلُ بدفنِ الميتِ ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾ [1]، فكان المسلمون يدفنونَ القتلى (منهم ومن غيرهم) يومًا بيوم.. امتثالًا لأمر الله دون أن يُفتشوا في الحكمةِ الخفيةِ وراء هذا الأمر.. فقط يمتثلون للأمرِ لكونه من الله العليمِ الحكيمِ، وبالتالي لا تتعفنُ الجثثَ ولا تنتشرُ الأمراضُ المعديةُ كما حدث في معاركِ الأممِ الأخرى، فقد كانوا يتركونَ الجثثَ تتعفنُ وبالتالي تنشرُ الأمراض في المنطقة فيصاب أهلها بالطاعون. فمعالجُة هذا الأثرِ السيءِ للمعاركِ لم يأتِ بعد التعرفِ على خطورةِ تركِ الجثثِ تتعفنُ، وإنما جاء بالتأدبِ بأدبٍ رباني تم الالتزام به دون أن يُعرف سببُهُ. بمعنى أن المقاتِل المسلم وهو يُسارع لدفن القتلى بعد يوم طويل من القتالِ لم يَفعلْ ذلك طلبًا للعمران وإنما امتثالًا لأمر الله وحدث العمران دون قصدٍ.. جاء ثمرةً للامتثال لأمر الله.

١ سورة عبس: الآية ٢١.

المطلب الثالث

التكرار وصنع عادات الإنسان.

ذكر أهل التفسير وعلوم القرآن عددًا من فوائد التكرار في القرآن الكريم، منها: أن التكرار يفيد التقرير فإن الكلام إذا تكرر تقرر، ومنها: أن التكرار يفيد التأكيد على معنى من المعاني، ومنها: أن التكرار وجه من وجوه الفصاحة فمع التكرار لا يحدث إخلال بالمعنى، وهذا يسمى عند البلغاء (اقتدارًا)؛ ومنها أن عامة ما يبدو تكرارًا لا يكون تكرارًا حقيقيًا وإنما حين ندقق النظر نجد فروقًا بين المعنى في ذات الآية أو في السياق[١].وما سبق هو المشهور في أقوال المفسرين، وذكر الزركشي أن من أسباب التكرار أن "الرجل كان يسمع القصة من القُرْآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأوَّلين، وكان أكثر من آمن به مهاجريًّا، فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم، وزيادة تأكيد، وتبصرة لآخرين، وهم الحضور"[٢] . واجتهد العلماء في دفع التكرار، أو ما سمّاه بعضهم التشابه اللفظي، واشتهر من بين هؤلاء الإمام الرازي[٣]

---

١ ينظر: "**أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**"، لمحمود بن حمزة الكرماني، (القاهرة، دار الفضيلة، د.ت).

٢ ينظر "البرهان في علوم القرآن"، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٧م)، ج٣، ٢٦.

٣ من أشهر من عني بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم الإمام الرازي في تفسيره، فقد جمع أقوال السابقين له مثل: الإمام الكرماني، والإمام القفال، والإمام الواحدي، والزمخشري، وعبد القاهر النحوي، ونقل عنه المتأخرون عنه من أمثال: الإمام ابن الزبير الثقفي في ملاك التأويل، والإمام ابن جماعة في كشف المعاني في متشابه المثاني، والإمام زكريا الأنصاري، في "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن"، ونقل عنه نفر من المعاصرين مثل الإمام الألوسي، والإمام الطاهر بن عاشور. ينظر، "**الرازي وتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**"، لريم عبد الفتاح، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/١١: https://2u.pw/WkOr4 وينظر: "**نظرات في** =

وكلامُهم يَدْفَعُ التكرار في بعض المواقع دون بعضها. وسياقُهم الذي يتحركونَ فيه سياقٌ دفاعي. وإن كثرة التكرارِ في القرآن الكريم تدلُ على فائدةٍ كبرى أعتقد أنها تتعلق، فضلًا عما ذكره علماء التفسير وعلوم القرآن، ببناء عادات الإنسان، أو تشكيل السلوك الإنساني، وبيان ذلك كالتالي:

حديثًا، ومع تطور وسائل التواصل بين الناس، ومعها وسائل تلقي المعرفة بشتى أنواعها، بدأ الحديث عن أن سلوك الإنسان مصنوع، كله أو جله، حتى تجرأ أحد علماء الاجتماع المعاصرين (الدكتور علي الوردي) ووصف الإنسان بأنه بلا عقل وعنون كتابًا بعنوان (مهزلة العقل البشري) ، يحاول أن يقرر فكرة "الجبر البيئي"، بمعنى أن الإنسان يجبر على أفعاله من البيئة التي يعيش فيها، يقول: كل ما يَظهر على الإنسان من خير أو شر من أثر البيئة، ورفض–هو– أن يتسلَّم جائزة الدولة التقديرية، بدعوى أن ليس له فضل فيما حصل عليه من شهادات، يقول: إنما الفضلُ للبيئةِ وللظروفِ التي أعطتُه ولم تُعط غيره، ولا أدري: ألم يكن معه عشرات، بل مئات، في نفس البيئة وفشلوا، أو لم يكونوا مثله؟!، أم كان وحيدًا طيلة حياته؟!! فلو كانت البيئة هي التي تصنع وحدها لكان الكل سواسية.

ومن خلال كتابين "وعاظ السلاطين" و "مهزلة العقل البشري"[1] حاول على الوردي أن ينظر لمفهوم الحركة والتطور في اتجاه الحداثة الغربية،

=

منهج الإمام الرازي فى توجيه المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم"، ريم عبد الفتاح، موقع موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/١١: https://2u.pw/HMkKN . وينظر: "**المتشابه اللفظي فى القرآن الكريم وتوجيهه: دراسة موضوعية**"، لمحمد راشد البركة، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين– الرياض، ١٤٢٥.

١ينظر: "**وعاظ السلاطين**"، لعلي الوردي، (لندن، دار كوفان للنشر، ١٩٩٥م)، وينظر: "**مهزلة العقل البشري**"، لعلي الوردي، (لندن، دار الوراق للنشر، ٢٠٠٨م).

وطالب علماء الدين أن يستسلموا لهذا التطور بل وينظروا له. فهل حقًا يوجد ما يسمى جبر بيئي؟

وظهر مؤخرًا معارفُ تجمعت تحت عنوان "بناء [صناعة] العادات". يحاولون صنع عادات الناس والتحكم في سلوكهم، وجعلهم كالآلة بلا عقل إلا في حدودٍ ضيقة جدًا، **والوسيلة إلى ذلك هي التكرار. تكرار الطلبِ، تكرار المعلومة، صناعةُ النموذج (المثَل) (القدوة) وتكرار عرضه. وبفعل التكرار تمت صناعة كثير مما يفعله الإنسان المعاصر!! إنه من خلال التكرار تم التحكم فيما يأكل الفرد، ويشرب، ويلبس، ويسمع، ويشاهد، وفيما يتحدث فيه من موضوعات، بل وفيما يفكر فيه ويهتم به من قضايا.**

وبسببِ امتلاكِ الناسِ لوسائلِ التواصلِ التكنولوجية الحديثة سَهُلَ صنعُ العادات.

وفي ضوء هذه العرض لواقعنا المشاهد نستطيع أن نقرر أن **من فوائد التكرار في القرآن الكريم صنع عادات الإنسان، ففي القرآن الكريم عددٌ محدودٌ من القصص تمثل كل قصة نموذجًا محددًا من انحرافات البشر.** ويحدث تكرار غير مُخل، ففي كل عرض إضافةٌ في مبنى القصة ذاتها، أو إضافة باعتبارِ السياق، أو تأكيدٌ على معنى، وفي كل عرض إظهار لبيان بهي عطر عال منفرد أخَّاذ، وتكون المحصلةُ أن الذي يقرأُ كتابَ الله مرةً كلَّ أسبوعٍ (وهو حالُ عامةِ الصحابة[1]) يمرُ عشرات المرات على عدد محدودٍ من المفاهيم والقيم المركزية والقصص الهادفة التي تُثَبِتُ هذه المفاهيم، ويمرُ عشرات المرات على النماذج المثالية لحزب الرحمن من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، ومن اتبعهم بإحسان، ويمر عشرات المرات، كذلك، على النماذج السيئة رؤوس الشرّ وهم الشياطين ومن تبعهم. بمعنى: تُعرض القيمُ من خلالِ

١ يستفاد هذا من حديث وفد بني مالك من ثقيف حين سألوا الصحابة عن طريقة تحزيبهم للقرآن، للاطلاع على نص الحديث ينظر: "**مسند الإمام أحمد بن حنبل**"، لأحمد بن حنبل، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج٢٦، ص٨٩.

النماذجِ المثاليةِ لها؛ ومن ثم يحدثُ تَنْمِيطًا للشخصية. ولذات الهدف تم توزيع الصلاة على النهار والليل، خمسُ صلوات في وقت النشاط وصلاةُ الوتر قبل النوم، وقيام الليل للمجتهدين الراغبين في الرقي، والأذكار قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، في مواعيدِ ثابتة تقريبًا. بمعنى يُستخدم التكرارُ في القصصِ والآياتِ والشعائرِ من أجل تنميطِ الإنسان.. من أجلِ صناعةِ إنسانٍ بمواصفاتٍ ربانية. فتكون النتيجة أن من يمتثل لهذا البرنامج الرباني يكون حاله على ما وصف اللهُ المؤمنين في كتابه ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [١].

هذا حال النموذج المثالي (الصحابةُ –رضوانُ الله عليهم–): كأنَّ من ينظرُ إليهم في أي وقت يجدهم رحماءَ بينهم، ركعًا سجدًا، يبتغونَ فضلًا من الله ورضوانًا.

١ سورة الفتح: من الآية ٢٩.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:

حاولتُ الكشف عن سياقين متقابلين يتواجدان في القضايا الرائجة، وهما سياق التوافق مع المطروح عالميًا، حيث يعمد أهل هذا السياق إلى قراءة النص الشرعي (الكتاب والسنة وأقوال الإئمة الأعلام) بما يتوافق مع الرائج عالميًا، وسياق آخر يقرأ النص الشرعي في ضوء تطبيقاته العملية في الأجيال الأولى (الصحابة والتابعين لهم بإحسان)، واتخذت من قضية عمارة الأرض نموذجًا، في محاولة للإجابة على سؤالٍ يثار في الحقل المعرفي من وقتٍ لآخر عن عمارة الأرض بالصالحين كيف تكون؟، وكيف أن هذا الذي يبني ويشيد ويطور في وسائل النقل والاتصالات لن يحقق عمرانًا حقيقًا بدون الإيمان بالله وما أنزل على رسوله، وانتهيت إلى عددٍ من النتائج، من أهمها:

١. من خلال النص الشرعي والتطبيق العملي فإن انتشار المعصية، كالزنا، والشح، والربا، يؤدي إلى فساد العمران رغم وجود أسباب التمدن المادية مثل القدرة على البناء وتعبيد الطرق وكثرة المال وسهولة حركته.
٢. تعمر الأرض بالصالحين حال وجودهم، سواءً قصدوا التعمير أم لم يقصدوا، بمعنى أن العمران ثمرة من ثمرات الالتزام بالنص الشرعي، وهذا واضح أشد الوضوح في القرون الأولى لهذه الأمة، حيث عمَّر النبي –صلى الله عليه وسلم–، وصحابته –رضوان الله عليهم–، والتابعين لهم بإحسان الدنيا في سنواتٍ معدودة، ولم يتلقوا إلا الكتاب والسنة فهمًا وتدبرًا وعملًا.
٣. تمثل القيم الإسلامية طوق النجاة للبشرية مما هي فيه اليوم من فساد في البيئة (الموارد الطبيعية) وما يصيب الموارد الطبيعية من أضرار، فالقيم

والأخلاق الإسلامية تنتج إنسانًا يراقب الله في جميع أحواله ولا يتعدى على حق غيره ولا يسيء استخدام نعم الله التي أودعها مخلوقاته.

٤. عمارة الأرض ثمرة لطاعة الله، وليست غاية، فقد أمرنا بعبادة الله وتعبيد الناس لله، وإن فعلنا عمرت الأرض، والعكس صحيح، بمعنى أن حضور الكفر والعصيان يؤدي إلى خراب العمران.

المراجع:

الكتب:

١. إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٢. إبراهيم بن موسى بن محمد (الإمام الشاطبي)، الموافقات، (القاهرة، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٣. أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بغية الرائد)، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ).

٤. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

٥. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).

٦. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٧. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٨. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

٩. أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، (الرياض، مكتبة الرشد،١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

١٠.أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

١١.أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

١٢.أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
١٣.إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
١٤.الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
١٥.بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٧م).
١٦.ترافس واجنر، البيئة من حولنا دليل لفهم التلوث وآثاره، ترجمة: محمد صابر، (القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٧م).
١٧.جورج صليبا، الفكر العربي: نشأته وتطوره، (لبنان، منشورات جامعة البلمند،١٩٩٨م).
١٨.خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
١٩.عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٢٠.دونالد هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد الباشا، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٤).
٢١.عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
٢٢.عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصور الفنية في القرآن الكريم، (حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
٢٣.عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

٢٤.علاء الدين علي بن محمد (الشهير بالخازن)، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٢٥.علي الوردي، وعاظ السلاطين، (لندن، دار كوفان للنشر، ١٩٩٥م).
٢٦.علي الوردي، مهزلة العقل البشري، (لندن، دار الوراق للنشر، ٢٠٠٨م).
٢٧.علي بن فَضَّال القيرواني، النكت في القرآن الكريم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٢٨.علي بن محمد بن محمد البصري الشهير بالماوردي، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢١هـ).
٢٩.غالب عبد الكافي القرشي، أوليات الفاروق في السياسة والإدارة والقضاء، (القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م).
٣٠.فاروق مصطفى خميس، قاموس الإيدز الطبي: مرض العصر، (القاهرة، دار الهلال،١٩٨٧).
٣١.فرانسيس مور لابيه وجوزيف كولينز، صناعة الجوع (خرافة الندرة)، ترجمة أحمد حسان، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤م).
٣٢. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
٣٣.محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٣٤.محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
٣٥.محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، (القاهرة، دار الفضيلة، د.ت).

٣٦.محمد بن عبد الهادي التتوي (أبو الحسن نور الدين السندي)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، (بيروت، دار الجيل، د. ت).
٣٧.محمد بن محمد بن عبد الرزاق (المرتضى الزبيدي)، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت، دار الفكر العربي،١٤١٤هـ).
٣٨.محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، د.ت).
٣٩.محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه)، سنن ابن ماجة، (بيروت، دار الرسالة العالمية،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
٤٠.محمود حمدي زقزوق، الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،٢٠٠٣).
٤١.مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، (بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي، د.ت).
٤٢.ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية: إرادة العرفان، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م).
٤٣. ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية: استعمال المتع، ترجمة محمد هشام، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م).
٤٤.ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية، اعترافات البدن، (باريس، غاليمار، ٢٠١٨).
٤٥.ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية: الانشغال بالذات، ترجمة محمد هشام، (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م).
٤٦.نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب الفرقان ورغائب الفرقان، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
٤٧.هربرت موللر، التحركات السكانية في تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة شوقي جلال، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١).

٤٨. يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

رسائل علمية:

محمد راشد البركة، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد ابن سعود، كلية أصول الدين- الرياض، ١٤٢٥هـ.

دوريات علمية محكمة:

١. الغوثي بن مالحة، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، مجلة كلية أصول الدين (الصراط)، السنة الأولى، العدد الثاني، ذو الحجة ١٤٢٠هـ، مارس ٢٠٠٠م.

٢. عبد الرقيب صالح محسن الشامي، أثر القواعد الشرعية في التدابير الاحترازية لمواجهة الأوبئة فيروس كرونا (COVID-19) نموذجًا"، مجلة البحوث الفقهية والقانونية، كلية الشريعة والقانون بدمنهور- جامعة الأزهر، العدد (٣٥) الجزء الثاني، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م، ص٦٩٥-٧٦٣.

مواقع إلكترونية:

١. ريم عبد الفتاح، "الرازي وتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/١١: https://2u.pw/WkOr4

٢. ريم عبد الفتاح، "نظرات في منهج الإمام الرازي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/١١: https://2u.pw/HMkKN

٣. زيد بن محمد الرماني: "على من تقع المسؤولية الحقيقية لحماية البيئة؟"، موقع شبكة الألوكة، قسم ثقافة ومعرفة، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/١١، من الرابط: على من تقع المسؤولية الحقيقية لحماية البيئة؟(alukah.net)

٤. عبد الحليم عويس، "**علم الرياضيات في التاريخ الإسلامي**"، موقع شبكة الألوكة، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٣١، من الرابط: https://2u.pw/hJac3

٥. كمال توفيق خطاب: "الربا والفائدة بين الفقه والاقتصاد"، موقع مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٧ من الرابط: https://www.cilecenter.org/ar/resources/articles-essays/alrba-walfaydt-byn-alfqh-walaqtsad

٦. كمال عبد المنعم محمد خليل، " عمارة الأرض واجب إنساني"، موقع الألوكة، أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١١/١٦، من الرابط: عمارة الأرض واجب إنساني(alukah.net)

٧. محفوظ ولد خير، "عمارة الأرض في الإسلام"، موقع الشبكة الإسلامية (إسلام ويب) أخذ بتاريخ ٢٠٢١/١١/١٥ من الرابط: عمارة الأرض في الإسلام – موقع مقالات إسلام ويب(islamweb.net) ،

٨. موقع شبكة يوم الأرض: Earth Day: The Official Site | EARTHDAY.ORG

٩. هيام مهدي سلامة، جماليات الشكل الهندسي في الفن الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، مجلة العمارة والفنون، العدد الثالث، صيف ٢٠١٦م، ص٣٠٧-٣٢١. ولمزيد من الأبحاث في هذا المضمون ينظر موقع مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، أخذ بتاريخ ٢٨/١١/ ٢٠٢١م، من الرابط: https://mjaf.journals.ekb.eg/

ترجمة المراجع :

alktb:

1. ebrahym bn alsry bn shl alzgag ،m3any al8ranw e3rabh ،(byrot ،3alm alktb ،1408h**1988** /.m).
2. ebrahym bn mosy bn m7md (al emam alsha6by) ، almoaf8at ،(al8ahra ،dar abn 3fan ،1417h**1997**/.m).
3. abo al7sn nor aldyn 3ly bn aby bkr alhythmy ،mgm3 alzoa2dwmnb3 alfoa2d (bghya alra2d) ،(byrot ،dar alfkr ، 1415h).
4. abo alfda2 esma3yl bn 3mr bn kthyr ،tfsyr al8ran al3zym ،(byrot ،dar alktb al3lmya ،1419h.).
5. abo al8asm m7md bn a7md bn gzy ،altshyl l3lom altnzyl ،(byrot ،shrka dar alar8m bn aby alar8m ،1416h.).
6. abo al8asm m7mod bn 3mr alzm5shry al5oarzmy ، alkshaf 3n 78a28 altnzylw3yon ala8aoyl fywgoh altaoyl ، (byrot ،dar e7ya2 altrath al3rby ،d.t).
7. abo 3bd allh al7akm m7md bn 3bd allh alnysabory ، (byrot ،dar alktb al3lmya ،1411h**1990**/.m).
8. abo 3bd allh m7md bn a7md al8r6by ،algam3 la7kam al8ran ،(al8ahra ،dar alktb almsrya ،1384h**1964**/.m).
9. a7md bn al7syn albyh8y ،sh3b al eyman ،(alryad ،mktba alrshd،1423h**2003**/.m).
10. a7md bn 3ly bn 7gr al3s8lany ،ft7 albary shr7 s7y7 alb5ary ،(byrot ،dar alm3rfa ،1379h.).
11. a7md bn m7md alth3lby ،alkshfwalbyan ،(byrot ،dar e7ya2 altrath al3rby ،1422h**2002**/.m).
12. a7md bn m7md bn 7nbl ،msnd al emam a7md bn 7nbl ،

(al8ahra ،dar al7dyth ،1416h**1995**/.m).

13. esma3yl bn 3mr bn kthyr ،tfsyr al8ran al3zym ،(al8ahra ، dar 6yba llnshrwaltozy3 ،1420h**1999**/.m).

14. alf5r alrazy ،mfaty7 alghyb (altfsyr alkbyr) ،(byrot ،dar e7ya2 altrath al3rby ،1420h.).

15. bdr aldyn m7md bn 3bd allh alzrkshy ،albrhan fy 3lom al8ran ،(byrot ،dar alm3rfa ،1379h/1957m).

16. trafswagnr ،alby2a mn 7olna dlyl lfhm altlothwatharh ، trgma: m7md sabr ،(al8ahra ،algm3ya almsrya lnshr alm3rfawalth8afa al3almya ،1997m).

17. gorg slyba ،alfkr al3rby: nshathwt6orh ،(lbnan ،mnshorat gam3a alblmnd،1998m).

18. 5yr aldyn bn m7mod alzrkly aldmsh8y ،ala3lam ،(byrot ، dar al3lm llmlayyn ،2002m).

19. 3bd alr7mn bn m7md bn m7md bn 5ldon ،dyoan almbtdawal5br fy tary5 al3rbwalbrbrwmn 3asrhm mn zoy alshan alakbr ،(byrot ،dar alfkr ،1408h/1988m).

20. donald hyl ،al3lomwalhndsa fy al7dara al eslamya ، trgma a7md f2ad albasha ،(alkoyt ،almgls alo6ny llth8afawalfnonwaladab ،2004).

21. 3bd alr7mn nasr als3dy ،tysyr alkrym alr7mn fy tfsyr klam almnan ،(byrot ،m2ssa alrsala ،1420h**2000** /.m).

22. 3bd alslam a7md alraghb،wzyfa alsor alfnya fy al8ran alkrym ،(7lb ،fslt lldrasatwaltrgmawalnshr ،1422h**2001**/.m).

23. 3bd almlk bn hsham ،alsyra alnboya ،(al8ahra ،shrka

mktbawm6b3a ms6fy albaby al7lbywaoladh bmsr ، 1375h**1955**/.m).

24. 3la2 aldyn 3ly bn m7md (alshhyr bal5azn) ،lbab altaoyl fy m3any altnzyl ،(byrot ،dar alfkr ،1399h**1979**/.m).

25. 3ly alordy،w3az alsla6yn ،(lndn ،dar kofan llnshr ، 1995m).

26. 3ly alordy ،mhzla al38l albshry ،(lndn ،dar alora8 llnshr ، 2008m).

27. 3ly bn fَdّal al8yroany ،alnkt fy al8ran alkrym ،(byrot ،dar alktb al3lmya ،1428h**2007**/.m).

28. 3ly bn m7md bn m7md albsry alshhyr balmaordy ، (byrot ،darwmktba alhlal ،1421h.).

29. ghalb 3bd alkafy al8rshy ،aolyat alfaro8 fy alsyasawal edarawal8da2 ،(al8ahra ،dar alofa2 ll6ba3awalnshr ، 2008m).

30. faro8 ms6fy 5mys ،8amos al eydz al6by: mrd al3sr ، (al8ahra ،dar alhlal،1987).

31. fransys mor labyhwgozyf kolynz ،sna3a algo3 (5rafa alndra) ،trgma a7md 7san ،(alkoyt ،almgls alo6ny llth8afawalfnonwaladab ،1984m).

32. mgd aldyn m7md bn y38ob alfyrozabady ،bsa2r zoy altmyyz fy l6a2f alktab al3zyz ،(al8ahra ،almgls ala3ly llsh2on al eslamya ،1416h**1996** /.m).

33.m7md bn esma3yl alb5ary ،algam3 almsnd als7y7 alm5tsr mn amor rsol allh sly allh 3lyhwslmwsnnhwayamh (s7y7 alb5ary) ،(byrot ،dar 6o8 alngaa ،1422h).

34.m7md bn gryr al6bry ،gam3 albyan fy taoyl al8ran ، t78y8 a7md m7md shakr ،(byrot ،m2ssa alrsala ، 1420h**2000**/.m).

35.m7mod bn 7mza alkrmany ،asrar altkrar fy al8ran alkrym almsmy albrhan fy togyh mtshabh al8ran lma fyh mn al7gawalbyan ،(al8ahra ،dar alfdyla ،d.t).

36.m7md bn 3bd alhady alttoy (abo al7sn nor aldyn alsndy) ،7ashya alsndy 3la snn abn magh (kfaya al7aga fy shr7 snn abn magh) ،(byrot ،dar algyl ،d. t).

37.m7md bn m7md bn 3bd alrza8 (almrtdy alzbydy) ،tag al3ros mn goahr al8amos ،(byrot ،dar alfkr al3rby،1414h.).

38.m7md bn mkrm bn mnzor ،lsan al3rb ،(byrot ،dar sadr ، d.t).

39.m7md bn yzyd al8zoyny (abn magh) ،snn abn maga ، (byrot ،dar alrsala al3almya،1430h**2009**/.m).

40.m7mod 7mdy z8zo8 ،al ensanwal8ym fy altsor al eslamy ،(al8ahra ،aldar almsrya allbnanya،2003).

41.mslm bn al7gag ،almsnd als7y7 alm5tsr bn8l al3dl 3n al3dl ely rsol allh sly allh 3lyhwslm (s7y7 mslm) ،(byrot ، dar e7ya2 altrath al eslamy ،d.t).

42.myshyl foko ،tary5 algnsanya: erada al3rfan ،(aldar albyda2 ،afry8ya alshr8 ،2004m).

43. myshyl foko ،tary5 algnsanya: ast3mal almt3 ،trgma m7md hsham ،(aldar albyda2 ،afry8ya alshr8 ،2004m).

44.myshyl foko ،tary5 algnsanya ،a3trafat albdn ،(barys ، ghalymar ،2018).

45.myshyl foko ،tary5 algnsanya: alanshghal balzat ،trgma m7md hsham ،(aldar albyda2 ،afry8ya alshr8 ،2004m).

46.nzam aldyn al7sn bn m7md alnysabory ،ghra2b alfr8anwrgha2b alfr8an ،(byrot ،dar alktb al3lmya ، 1416h**1996/**.m).

47.hrbrt mollr ،alt7rkat alskanya fy tary5 aoroba al7dyth ، trgma shofy glal ،(al8ahra ،alhy2a almsrya al3ama lltalyfwalnshr ،1971).

48.y7yy bn shrf alnooy ،almnhag shr7 s7y7 mslm bn al7gag ،(byrot ،dar e7ya2 altrath al3rby ،1392h.).

rsa2l 3lmya:

m7md rashd albrka ،almtshabh allfzy fy al8ran alkrymwtogyhh: drasa modo3ya ،rsala magstyr ،gam3a al emam m7md abn s3od ،klya asol aldyn- alryad ، 1425h..

doryat 3lmya m7kma:

1. alghothy bn mal7a ،78o8 al ensan byn alshry3a al eslamyawal8oanyn alod3ya ،mgla klya asol aldyn (alsra6) ،alsna alaoly ،al3dd althany ،zo al7ga 1420h ،. mars 2000m.

2. 3bd alr8yb sal7 m7sn alshamy ،athr al8oa3d alshr3ya fy

altdabyr ala7trazya lmoagha alaob2a fyros krona covid-19)) nmozgًa" ،mgla alb7oth alf8hyawal8anonya ،klya alshry3awal8anon bdmnhor- gam3a alazhr ،al3dd (35) algz2 althany ،1442h**2020**/.m ،s695-763.

moa83 elktronya:

1. rym 3bd alfta7 ،"alrazywtogyh almtshabh allfzy fy al8ran alkrym" ،mo83 mrkz tfsyr lldrasat al8ranya ،a5z btary5 11/12/2021: https://2u.pw/wkor4
2. rym 3bd alfta7 ،"nzrat fy mnhg al emam alrazy fy togyh almtshabh allfzy fy al8ran alkrym" ،mo83 mrkz tfsyr lldrasat al8ranya ،a5z btary5 11/12/2021: https://2u.pw/hmkkn
3. zyd bn m7md alrmany: "3ly mn t83 alms2olya al78y8ya l7maya alby2aؤ" ،mo83 shbka alaloka ،8sm th8afawm3rfa ،a5z btary5 11/12/2021 ،mn alrab6: 3la mn t83 alms2olya al78y8ya l7maya alby2aؤ (alukah.net)
4. 3bd al7lym 3oys ،"3lm alryadyat fy altary5 al eslamy" ، mo83 shbka alaloka ،a5z btary5 31/12/2021 ،mn alrab6: https://2u.pw/hjac3
5. kmal tofy8 56ab: "alrbawalfa2da byn alf8hwala8tsad" ، mo83 mrkz drasat altshry3 al eslamywala5la8 ،a5z btary5 7/12/2021 mn alrab6: https://www.cilecenter.org/ar/resources/articles-essays/alrba-walfaydt-byn-alfqh-walaqtsad

6. kmal 3bd almn3m m7md 5lyl ،" 3mara alardwagb ensany" ،mo83 alaloka ،a5z btary5 16/11/2021 ،mn alrab6: 3mara alardwagb ensany (alukah.net)
7. m7fozwld 5yr ،"3mara alard fy al eslam" ،mo83 alshbka al eslamya (eslamwyb) a5z btary5 15/11/2021 mn alrab6: 3mara alard fy al eslam – mo83 m8alat eslamwyb (islamweb.net) ،
8. mo83 shbka yom alard: earth day: the official site | earthday.org
9. hyam mhdy slama ،gmalyat alshkl alhndsy fy alfn al eslamywt6by8atha alm3asra ،mgla al3marawalfnon ، al3dd althalth ،syf 2016m ،s307-321.wlmzyd mn alab7ath fy hza almdmon ynzr mo83 mgla al3marawalfnonwal3lom al ensanya ،a5z btary5 28/11/ 2021m ،mn alrab6: https://mjaf.journals.ekb.eg/